الفصل الثاني

ليبيا من فجر التاريخ حتى مقدم الإغريق والفينيقيين

ليبيا في فجر التاريخ

إن العقبة الرئيسية في سبيل دراسة تاريخ ليبيا القديم تكمن في كيفية تناول ذلك التاريخ نظراً لتشعبه، وانحصار مصادره، وتفاوت وجود تلك المصادر بالنسبة لمنطقة أو لأخرى. ولقد سبقت الإشارة[24] إلى وفرة المصادر الخاصة بمنطقتي برقة وطرابلس وندرتها بالنسبة للدواخل.

وتنوع علاقات الليبيين مع غيرهم من الشعوب أدى إلى تنوع تاريخهم من ناحية وتنوع مصادره من ناحية أخرى: ولذلك فنحن نجد تاريخ برقة مرتبطاً بتاريخ المصريين والإغريق والرومان على الترتيب، ونتيجة لذلك الارتباط فإن مصادر تاريخ برقة لا تتعدى أن تكون مصرية أو إغريقية أو رومانية، بينما احتكت بالإغريق احتكاك الند بالند، ثم بالوندال فالبيزنطيين؛ وعلى ذلك فمصادر تاريخها تكاد تكون تنحصر في المصادر الرومانية والإغريقية لأن الفينيقيين والوندال لم يتركوا مصادر تذكر. أما منطقة فزان فلا نجد عنها إلا النزر اليسير الذي ورد هنا وهناك في كتب التاريخ والجغرافيا والأدب لمؤرخين وجغرافيين وأدباء من العصر الكلاسيكي. ومما يزيد في صعوبة دراسة تاريخ فزان أن آثارها، بعكس ما عليه الحال بالنسبة لآثار برقة وطرابلس، خربت ونهبت عبر العصور من ناحية، ولم تكتشف وينقب عنها بما فيه الكفاية من الناحية الأخرى مما أدى إلى إبقاء تاريخها غامضاً وخالياً من التفاصيل.

وتسهيلاً للدراسة والبحث رأيت أن ألجأ إلى تقسيم التاريخ الليبي القديم إلى العصور التالية مع التأكيد أنه ليس هنالك حاجز زمني أو مادي يفصل بين عصر وعصر لأن الحياة لا تتوقف عند نهاية عصر لتبدأ من جديد في العصر الذي يليه بل تستمر في جريانها بغض النظر عن الظروف والعصور، فنجد نتيجة لذلك أن التاريخ يستمر في جريانه كذلك بحيث يسلم كل واحد من عصوره للذي يليه:

أ- تاريخ منطقة برقة، ويقسم إلى ما يلي:

24- - انظر ص 22.

1- من فجر التاريخ حتى حوالي سنة 631 ق. م. وهي السنة التي اتفق على أن الإغريق أسسوا فيها مدينة قورينة (= شحات).

2- تاريخ منطقة برقة في العهدين الإغريقي والبطلمي حتى سنة 97 ق. م. وهي السنة التي اوصى فيها بتوريث برقة للرومان.

ب- تاريخ منطقة طرابلس ويقسم إلى ما يلي:

1- من فجر التاريخ حتى بداية القرن السادس قبل الميلاد عندما أقام الفينيقيون أول محطة تجارية لهم في صبراته على الساحل الطرابلسي.

2- تاريخ منطقة طرابلس منطقة من بداية العهد الفينيقي (القرن السادس ق. م.) حتى سنة 46 ق. م. وهي بداية العهد الروماني في هذه المنطقة بعد وقوعها في يد يوليس قيصر في أعقاب انتصاره في معركة ثابسوس (رأس الديماس بتونس).

ج- تاريخ فزان ويقسم إلى ما يلي:

1- من فجر التاريخ حتى مقدم الجرامنتيين حوالي سنة 800 ق. م.

2- من مقدم الجرامنتيين حتى بدء العصر الروماني.

د- ليبيا في العهد الروماني الذي انتهى في منطقة طرابلس باحتلال الوندال لها سنة 445 م. أي بعد احتلالهم لقرطاجة بست سنوات.

ه- طرابلس في عهد الوندال من سنة 445 م. إلى سنة 534 م. وهي السنة التي انتعهى فيها حكم الوندال باستسلام ملكهم جليمر للقائد البيزنطي بليزاريوس.

و- طرابلس في العهد البيزنطي من سنة 534 م. حتى سنة 644م. وهي سنة الفتح العربي.

ز- برقة في العهد البيزنطي من سنة 305 م. عندما انقسمت الإمبراطورية الرومانية إلى غربية وبيزنطية حتى سنة 643 م. وهي سنة الفتح العربي.

ح- فزان منذ حريق جرما سنة 395 م. حتى الفتح العربي سنة 644 م.

وقبل أن نبدأ بدراسة التاريخ الليبي القديم على أساس المخطط السابق، يجدر بنا أن نتوقف هنيهة عند عدد من المبادئ الأساسية التي ستساعدنا على فهم وتفسير الكثير من المواقف المعقدة في التاريخ الليبي. وبوسعنا أن نجمل تلك المبادئ فيما يلي:

1- إن الإنسان القديم لم ينشأ لديه إحساس واع بالشعور بالانتماء إلى وطن معين أو أمة معينة إلا بعد أن تحضر وأقام الإمبراطوريات والدول الكبيرة. وهذه مسألة سهلت عليه الهجرة من مكان لآخر وفقاً لأمنه ومصلحته وظروفه.

2- إن طبيعة الحياة البشرية في العصور القديمة كان يتحكم فيها قانون الغاب ومبدأ الحياة للإصلاح. ولذلك فإن الغارات والحروب كان يرافقها دائماً سبي النساء والأطفال واسترقاق الرجال وبالتالي امتزاج الأجناس.

3- إن الهجرات البشرية كانت ظاهرة عامة فلم تسلم منطقة مأهولة في العالم القديم من التعرض لموجات عاتية من الهجرات البشرية المتتالية الناجمة عن أسباب كثيرة مختلفة لا مجال لبحثها هنا.

4- إن البلدان المختلفة كانت تتفاوت في مدى تعرضها للهجرات والغارات تبعاً لأهمية موقعها الجغرافي من ناحية، وما فيها من مصادر الرزق من ناحية أخرى، وكثافة سكانها ومستواهم واتحادهم أو تفرقهم وقدرتهم أو عجزهم بالنسبة للوقوف في وجه المغيرين أو المهاجرين من ناحية ثالثة.

فإذا نحن طبقنا هذه المبادئ على ليبيا خرجنا بالصورة التالية: إن ليبيا كانت دائماً قليلة كثافة السكان وبالتالي ضعيفة القوة. ومما زاد في ضعفها غلبة الطابع البدوي على سكانها، وتسلط النظام القبلي على أبنائها، مما حال دون قيام وحدة حقيقية بينهم وسهل على المغيرين أو المهاجرين التغلب عليهم. وهي كذلك واسعة الرقعة، ممتدة إلى أكثر من ألفي كيلومتر على ساحل البحر الأبيض المتوسط الجنوبي في مواجهة أوروبا، ومتعمقة في القارة الإفريقية تعمقاً جعلها رئة لإفريقيا الوسطى وخاصة السودان.

ولذلك فإن تأثرها بأوروبا واتصالها بها وتأثرها بإفريقيا الوسطى واتصالها بها، وتأثرها بمصر المجاورة لها من الشرق واتصالها بها كانت أموراً حتمية لا مفر منها. فإذا أضفنا لما ذكر، صعوبة المواصلات في العصور التاريخية القديمة، أدركنا سبب عدم قيام سلطة مركزية قوية في هذه البلاد تصد عنها غارات المغيرين، وسيل المهاجرين القادمين من المناطق المجاورة: من أواسط القارة الإفريقية في الجنوب، ومن الشمال من جزر البحر الأبيض المتوسط والبلدان الأوروبية الواقعة على ساحله الشمالي في مقابلة الساحل الليبي الطويل وغير البعيد، ومن الشرق عبر مصر أو عبر البحر الأبيض المتوسط. ومن الغرب من جبال الأطلس التي يسهل النزول منها إلى الأراضي الليبية المنبسطة. ولعل أحدث مثل للهجرات الكبرى هو هجرة قبائل بني هلال وبني سليم في القرن الهجري الخامس، وأحدث مثل للغزو الخارجي هو الغزو الإيطالي سنة 1911 م.

برقة من فجر التاريخ سنة 631 ق. م.

تتناول هذه الفترة من التاريخ الليبي القديم دراسة العلاقات الليبية – المصرية، ومصادرنا عنها تكاد تنحصر في النقوش والمخطوطات المصرية. ولابد أن تقرر منذ البداية أن العلاقات الليبية – المصرية كانت قائمة منذ أقدم الأزمنة ولكنها كانت علاقات عداء وغزو في معظم الأوقات إن لم نقل طيلة الوقت؛ وعلى هذا فإن مصادر التاريخ الليبي لهذه الفترة مصادر معادية كما هي الحال بالنسبة لمعظم مصادر التاريخ الليبي القديم بأسره. ومن هنا فإن أحداً لا يستطيع أن يدعي أن المخطوطات والنقوش المصرية تكون سجلاً كاملاً لعلاقة الليبيين بالمصريين في الفترة موضوع البحث، ولكنها على أي حال تعطي صورة تكفي لإثبات قيام تلك العلاقات وتبين نوعها. وتجدر الإشارة إلى أن المصريين كانوا يخرجون دائما منتصرين على الليبيين لأن التقليد الذي كان سائداً عندهم هو أن يسجل الملك أو الفرعون أخبار انتصاراته وأمجاده وليس كل تاريخه. وقبل الخوض في هذا الموضوع لابد من الإشارة إلى عاملين مهمين كان لهما أثر بالغ في خلق العلاقات الليبية – المصرية وفي تقرير طابعها العدائي، وهما: الجفاف التدريجي المتزايد الذي أصاب الديار الليبية منذ منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، ثم الاضطراب السكاني الذي أصاب أواسط أوروبا في وقت لاحق وأسفر عن تدافع الشعوب الأوروبية وقدوم موجات متتالية منها نزلت في الشمال الإفريقي ابتداء من الساحل التونسي شرقاً حتى نهاية ساحل المغرب الأقصى على المحيط الأطلسي غرباً، ولم تلبث إلا قليلاً حتى بدأت تضغط على القبائل الليبية المجاورة لها من الشرق.

فإذا نحن تذكرنا ما سبق تبيانه من أن الصحراء الليبية كانت تزخر بالحياة في عصر ما قبل التاريخ، ثم بدأت تتحول تدريجياً إلى ما هي عليه الآن نتيجة لحلول الجفاف الحاد المتزايد في مناخها من ناحية وللدمار الذي ألحقته حيواناتها بأشجارها ونباتاتها من الناحية الأخرى، أمكننا أن نتصور أن الليبيين بدأوا منذ ذلك العهد السحيق يهاجرون من منطقتهم باتجاه مصر في الشرق لأن ذلك الاتجاه كان السبيل الوحيد الذي بقي مفتوحا

أمامهم إذ إنه لم يكن بوسعهم أن يبقوا في الداخل لجفافه كما أنه لم يكن بوسعهم أن يتجهوا إلى الغرب بسبب وعورة جبال أطلس من ناحية وبسبب ضغط «أقوام ما وراء البحر» التي هبطت تلك المنطقة فيما بعد من ناحية أخرى. وطبيعي أن يكون زحف الليبيين باتجاه مصر هرباً بحياتهم من منطقتهم المنكوبة إلى المنطقة المجاورة. وطلباً للرزق والأمن. ولما كان وادي النيل الدافئ الخصيب يمتد كواحة كبرى بين رمال الصحارى القاحلة التي تحيط به. فإن خضرته ومياهه العذبة كانت دون شك تشكل إغراءً جباراً للقبائل الليبية المجاورة. ومن هنا فإن المهاجرين الليبيين لابد أن يكونوا نزلوا وادي النيل على شكل هجرات متتالية في عصر ما قبل التاريخ وفي العصر التاريخي. وقدومهم لوادي النيل على هذه الصورة لا يمكن أن يكون اتخذ طابعاً غير طابع الغزو والعنف لأن غايتهم من الهجرة كانت الاستيلاء على المواد الغذائية والأسلاب وربما الاستيطان. وكان هؤلاء المهاجرون لا يلبثون أن يمتزجوا بالسكان الأصليين حتى يذوبوا فيهم ليصبحوا عنصراً في تكوين الأجيال المصرية التالية. ومن الطبيعي والحالة هذه ان يقف المصريون القدماء موقف الدفاع عن أنفسهم وأرزاقهم وبلادهم فيحاولوا صد المغيرين من الغزاة المهاجرين. وكثيراً ما كانوا يلجأون إلى مهاجمة القبائل الليبية في مواطنها قبل انقضاضها على واديهم تطبيقاً للمبدأ القائل إن الهجوم الوقائي هو خير وسيلة للدفاع.

في عهد الدولة القديمة (3200 – 2300 ق.م.):

لقد وجدت مخلفات أثرية ترجع إلى عصر ما قبل الأسرات في مصر وتشهد على قيام اتصال بين الليبيين والمصريين: فقد عثر على مقبض عاجي لسكين في جبل العركي مقابل نجع حمادي في مصر يرجع تاريخه إلى منتصف الألف الرابع قبل الميلاد وقد نقشت على أحد جانبيه معركة برية بحرية بين فريقين واضح أن أحدهما مصري والآخر يشبه أن يكون ليبياً بسبب القراب الذي يرتديه أفراده لستر عوارتهم ولأنهم أرسلوا شعورهم الطويلة وجعلوا جدائل منها تنسدل على جانب الرأس وهذه كلها صفات تقرب من الصفات التي رسم بها المصريون الليبيين في العصور اللاحقة.

وقد وجدت أيضاً لوحة الملك الوجه القبلي الملقب بالعقرب وعليها أربعة صفوف من النقوش الأفقية تظهر في الثلاثة الأولى منها صور ثيران وحمير وكباش وفي الرابع صورة تشبه أن تكون شجرة زيتون وأمام الشجرة نقشت علامة تدل على كلمة تحنو مما قد يعني أن الملك عقرب خاض حرباً ضد التحنو وسجل ما غنمه منهم على لوحته تلك.

وفي مطلع عهد الأسرات عاد اسم التحنو للظهور مصورا بالهيروغليفية فقد وجدت في الكوم الأحمر إلى الشمال من إدفو بصعيد مصر أسطوانة عاجية نقش عليها اسم الملك نعرمر (Narmar) كما صور هذا الملك وهو يجلد جماعة من الأسرى نقش فوق رسمهم اسم التحنو[25]. وعلى آثار الملك عجا. خليفة نعرمر. إشارات كثيرة إلى حروب مع الليبيين كما أن اسم التحنو يتكرر في نصوص الأسرتين الثانية والثالثة (2778 – 2723 ق. م.) باعتبارهم قوما كان على فراعنة هاتين الأسرتين أن يتصدوا لهم فراعنة هاتين الأسرتين أن يتصدوا لهم ويضعوا حداً لهجماتهم. وقد روى مانيثو (Manetho)[26] أنه في بداية عهد الأسرة الثالثة ثار الليبيون في مصر على الملك نفرقرع (Nefer-ka-ra) ولكنهم سرعان ما ألقوا أسلحتهم لتشاؤمهم من ازدياد حجم القمر زيادة غير طبيعية. وقد تكون هذه الرواية مجرد رواية موضوعة ولكن ليس هنالك ما ينفي احتمال أن يكون مانيثو قد نقلها عن كتاب أقدم منه. على أي حال لا نلبث بعد انتهاء عهد الأسرة الثالثة إلا قليلاً حتى نسمع عن نزاع مؤكد بين الليبيين والمصريين وعن احتكاك بين الليبيين وجيرانهم زنوج الجنوب فها هو الملك سنفرو. مؤسس الأسرة الرابعة (2723 – 2563 ق. م.) يقوم بحملة ضد الليبيين فيأسر منهم أحد عشر ألفاً ويغنم ثلاثة عشر ألفاً ومائة رأس من الماشية ويسجل

25- انظر: برستد. ج؛ ه؛ تاريخ مصر. ص 47. حيث ينص على أن الملك نعرمر قام في مطلع عهد الأسرات بإخضاع ثورة ليبية في الدلتل وأسر مائة وعشرين ألف ليبي كما غنم أربعمائة ألف رأس من المواشي – ويخالف أوريك بيتس برستد في هذه المسألة ويقول إنه يعتقد أن الذين قاموا بتلك الثورة كانوا مصريين من الدلتا وليس ليبيين.

26- مانيثو كاهن مصري عاش في عهد بطليموس الثاني فيلادلفوس وكتب تاريخ مصر بالإغريقية. وقد وصلت أجزاء منه في كتب المؤرخين العرب واليهود وخاصة تاريخ المؤرخ اليهودي يوسف.

كل ذلك على حجر بالرمو. ومن أهم النصوص التي تتحدث عن النزاع الليبي – المصري بعيد هذه المرحلة نقوش الملكين (ني – أوسر – رع) و (سحورع) من ملوك الأسرة الخامسة (2563 – 2423 ق. م.) وهي نقوش سجلها كل من الملكين على جدران معبده في قرية أبي صير وسجل فيها انتصاراته على الليبيين. ويتبين من أوضاع نقوش سحورع أن التحنو الليبيين الذين هزمهم ذلك الملك كانوا يعيشون إلى الجنوب من ممفيس (ربما في وادي النطرون والفيوم). وتجدر الإشارة هنا إلى أن الرؤساء الليبيين كانوا في هذه الرحلة المبكرة من تاريخهم يتحلون بحلي شخصية تمتاز في صنعها عن مثيلاتها حتى في المراحل اللاحقة. وقد وردت في نقوش سحورع عبارة «ضرب تحنو» كما رسمت فيها الثيران والحمير والأغنام وقطعان الماعز التي غنمها هذا الملك ورسمت فوقها وتحتها صور أسرى التحنو الليبيين يرسفون في الأغلال كما نقش فوقهم اسما إقليمين من أقاليهم هما «باش» و«بكت». ورسمت كذلك خلف أسرة أمير التحنو صورة إله الغرب وصورة الإله «عش»، إله بلاد التحنو، وهما يقدمان للملك سحورع خيرات البلاد الأجنبية. ولنقوش معبد الملك سحورع هذه قيمة أخرى مهمة لأنها تعطينا الكثير من التفصيلات عن التحنو فهم يظهرون فيها، رجالاً ونساء، قوماً طوال القامة، سمر البشرة، تتهدل فوق أكتافهم شعورهم السوداء الطويلة المتموجة، وتزين جباههم خصل من الشعر تميزهم عن غيرهم، وتظهر وجوههم نحيفة، ووجناتهم ناتئة، وشفاهم غليظة، كما يتميز رجالهم بلحي قصيرة تنتهي بطرف مدبب وتحدد شكل الفك بصورة واضحة. أما الزي فهو ذاته للرجال والنساء إذ يرتدي كل من الرجل والمرأة شريطين عريضين من الجلد يتقاطعان على الصدر، ويتمنطق بحزام مزين بخطوط عمودية وأخرى أفقية وينتهي من الأمام بقراب يستر العورة. وتحيط بالعنق بنيقة مرتفعة نسبياً تتدلى منها بعض الأشرطة. وكان رجال التحنو يتميزون عن نسائهم بما كانوا يتحلون به من ذيول الحيوانات كما يتميزون عن غيرهم من الليبيين بعدم وضع الريشة أو الريشتين في شعورهم. أما أطفالهم فلم يكونوا يرتدون الحزام أو قراب العورة أو ذيل الحيوان.

وخلال الألف الثالث قبل الميلاد كان شعب جديد من أقوم ما وراء البحر، يتميز بالبشرة البيضاء والشعر الأشقر قد استقر في ليبيا ووطد مكانته فيها، وقد فطن المصريون لما بين هؤلاء الليبيين الجدد والليبيين الآخرين من فروق فسموهم «التمحو» أي الشقر[27]. وقد ورد ذكر هذه القبيلة لأول مرة في النصوص المصرية في عهد الملك بيبي الأول من الأسرة السادسة (2420 – 3280 ق. م.) عندما نسمع أن الجيش المصري الذي سار بقيادة «وتي» لمقاتلة القبائل الآسيوية كان يضم بين فرقه فرقة من مرتزقة «التمحو». ثم ورد ذكرهم ثانية في عهد الملك مرنرع، من هذه الأسرة أيضاً، وذلك في النقوش التي خلفها حرخوف، التاجر والرحالة المصري، على قبره في جزيرة الفنتاين (فيلة) قرب أسوان، ودل فيها وهو يسرد أخبار رحلته إلى أرض «يام» (جنوب وادي حلفا) إنه وصل أرض التمحو إلى الغرب من «يام». وفي رحلته الثالثة إلى درب الأربعين في طريقه إلى دارفور بالسودان قال هذا الرحالة إنه سافر على درب الواحات ورأى قبيلة من زنوج «يام» تزحف على قبائل التمحو الذين كانوا يعيشون في غرب مصر، «وإن رئيس «يام» كان ذاهباً إلى أرض التمحو ليضرب التمحو حتى الركن الغربي من الأفق، فذهبت في أثره، وأدخلت السكينة على نفسه».

في عهد الدولة الوسطى (2300 – 1580 ق. م.):

وقامت حروب أخرى بين الليبيين والمصريين في عهد الدولة الوسطى بمصر، ففي عهد الأسرة الحادية عشرة نسمع أن الملك إنتف (Intef)، أول ملوك هذه الأسرة، كان يملك بين كلاب صيده كلباً باسم ليبي مما قد يدل على أنه كان أرسل إليه ضمن جزية كان الليبيون يؤدونها له. وفي عهد خليفته منتوحتب (Mentuhotep) الأول تمكن المصريون من هزيمة الريبو (Rebu) والتحنو – ولكن هذه الحروب لم تكن عامة أو على نطاق واسع وإنما كانت غزوات أو غارات تقوم بها القبائل الليبية تقابلها غارات مصرية مضادة. ونحن نقرأ عن غارة من هذا النوع في مطلع قصة سنوحي (Sinuhe) أحد

27- كانوا يقيمون في منطقة تقع إلى الغرب من منطقة التحنو وينتشرون على طول ضفة النيل الغربية وقد استقرت جماعة منهم في المنطقة الواقعة بين الشلالين الأول والثاني.

قادة الملك «أمنمحـــات» الأول (1991 – 1961) (Amenemhat I ق. م.): فقد أرســل هذا الملك ابنه وشريكه في الملك «أسرتسين» (سنوسرت) الأول (Usertesen 1) إلى الغرب للإغارة على الريبو. يقول سنوحي:

« انظروا لقد بعث جلالته جيشاً لجباً ضد الليبيين تحت إمرة نجله الأكبر، الرب الكريم أسرتســين. والآن ها هو أسرتســين يعود من الغزو وهو يجر وراءه أعداداً من الأسرى الليبيين أحياء، وأعداداً لا تحصى من المواشي...»

ويبدو أن هذه الغزوة كانت حقيقة لأن صداها تردد حتى العصر الإغريقي اللاحق – وقد أشار إليها ديودورس الصقلي بقوله: «إن الأمير الشاب أسرتسين أُرســل إلى بلاد الغرب ثم أخضع قســماً واســعاً من ليبيا» وربما كان الرسم المتاز لهذا الأمير في متحف القاهــرة على هيئة الغرفين (gryphons)[28] يدوس الجنوبيين والليبيين بقدميه إنما هو تذكار لهذه الغارة.

ولعــل ما يلفت النظر عند هذا الحــد أن المصريين هم الذين كانوا يتعدون في هذه الفترة وليس الليبيين كما حدث من قبل وكما ســيحدث فيما بعد. فنحن نسمع أن الليبيين كانوا متأثرين بعظمة القوة المصرية إلى حد أنه في الســنة الرابعة والثلاثين من حكم أسرتســين الأول قام أحد ضباطه وأسمه إتنديــدي (Itendidi) برفقــة نخبة قليلــة من الجنود بزيارة «لأرض ســكان الواحــات» أي الليبيين. ولم يكن هــدف هذه الزيارة معروفــاً ولكن يبدو أنها كانــت بمثابة اســتعراض للعضلات المصريــو فقط. ويبــدو أن الليبيين كانوا يحترمون القوة المصرية ويهابونها مهابة حقيقية خلال عهد الأسرة الثانية عشــرة فقد تمكن أحد ضباط الملك أسرتســين الثالــث (1887 – 1850 ق. م.) أن يجلــب لملكه «منتجــات التحنو الجديدة اعتماداً على شــهرة جلالته العظيمة». كما أن هذا الملك ذاته صور نفسه وهو يهزم أحد الليبيين. ولعل هذا العامل، مضافاً إليه اســتقرار التحمــو في مصر وعلى حدودها الغربية، وبالتالي عزوفهم عن المناوشــات، يفســر ضآلة المعلومات عن الليبيين طيلة القــرون الثلاثة التــي تلت عهد الملك أسرتســين الثالث وحتــى مطلع عهد الأسرة الثامنة عشــرة (1580 – 1320 ق. م.) عندما يبدأ نزاع متواصل بين

28- حيوان خرافي نصفه العلوي نسر ونصفه السفلي أسد.

الليبيين والمصريين يستمر طيلة عهد هذه الأسرة.

في عهد الدولة الحديثة (1580 – 1085 ق. م.)

وأول ما نسمعه عن هذا النزاع يرد على لسان أحد المسؤولين المصريين في عهد الملك أمنحوتب الأول (1557 – 1530 ق. م.) عندما يذكر أنه أسر باسم الملك «ثلاث أيدٍ» من قبيلة إموكهك (Imukehek) في الشمال. وقد يكون هذا إشــارة لمهاجمة هــذه القبيلة للمقاطعات الغربية مــن الدلتا مما حمل الملك أمنحوتــب الأول على مهاجمتها وهزيمتها وتخليد انتصاره عليها على لوحة تصوره ملوحاً بســيفه وقد جثا عدوه عند قدميه. وفي عهد تحتمس الثالث قدم الرؤســاء الليبيون من الواحات الجنوبية والشمالية الجزية كما أن أخته وزوجته وشــريكته الملكة حتشبسوت (Hqtshepsut) حصلت جزية ضخمة من التحنو كانت تتألف « من كمية من العاج ومن ســبعمائة ســن فيل ومن عدد كبير من جلود الفهود الجنوبية». وباختصار فإن هيبة المصريين في عهد الملكة حتشبسوت والملك تحتمس الثالث بلغت في نفوس الليبيين حداً جعل «نهي Nehi» حاكم مقاطعة كوش في السنة الثالثة والعشرين مــن حكم الملك يمجد تلك الهيبة بقولــه: « إن بلاد التحنو تخضع للملك بســبب شــهرة جلالته، وتأتي حاملة جزيتها علة ظهورهــا إعراباً عن الولاء والطاعة ... كالكلاب، راجية أن توهب لها نسمة الحياة». ويفهم من نصوص أخرى أنه لم تحدث في عهد هذا الملك غارات ليبية على الحدود المصرية، ولكن اضطراب الجبهة الداخلية في مصــر إثر ثورة إخناتون (1370 1352- ق. م.) الدينية شــجع الليبيين على اســتئناف هجماتهم على مصــر غير أن الملك حــور محب تصدى لهم وأكد قوة مصر وســيطرتها علــى حدودها الغربية. وفي منتصف عهد الأســرة الثامنة عشرة شــن الملك أمنحوتب الثالث حرباً ناجحة ضد التحنو وأخذ منهم أســرى كثيرين شــغلهم فيما بعد في بناء إحــدى القلاع المصرية – ويظهر أن الليبيين القريبين من الحدود المصرية كانوا قد أخضعوا نسبياً في أيام الملوك المحاربين في أوائل عهد الدولة الحديثة.

ولم تتوقف هذه المناوشات بقدوم الأسرة التاسعة عشرة بل ازدادت كما أن تغلغل الليبيين في الدلتا تزايد إلى حد أن الملك سيتي الأول ((Seti I[29] 1298 – 1318 ق. م.) أحس في بداية حكمه أن مصر ستواجه عما قريب تهديداً حقيقياً من الغرب. ولذلك فقد قام هذا الملك بحملتين كبيرتين قادهما بنفسه ضد الليبيين. قبل قيامه بحملته على سوريا. وقضى السنة الثانية من حكمه يحاربهم في الدلتا حتى انتصر عليهم في النهاية «وركعت بلاد التحنو على ركبتيها أمام الفرعون» فأخذ منها أسرى كثيرين تقدمة للإلهة آمون (Amon) بالإضافة للجزية المعهودة. وسجل أخبار ذلك على جدران الكرنك. ولو أن هذا الملك المحارب القدير تابع انتصاراته متوغلاً في ليبيا إلى الغرب بدلاً من التحول إلى سوريا في الشرق لتغير مجرى التاريخ الليبي - المصري فيما بعد. ولكن عمله الذي لم يتم لم يكن حرباً حاسمة بل كان مجرد حلقة أخرى في سلسلة حروب الردع التي كانت مصر تشنها على القبائل الليبية بين الفينة والأخرى. وبسبب ذلك استعاد الليبيون نشاطهم في أيام ابنه وخلفه رمسيس الثاني (Rameses II). ولكن حروب رمسيس الثاني ضد الليبيين غامضة وإن كانت هنالك آثار مختلفة تدل على انتصاره عليهم: فعلى معبد أبي سمبل نرى رمسيس الثاني واقفاً فوق جسم ليبي مطروح على الأرض وهو يطعن ليبياً آخر بحربته. ولعل أهم ما نذكره نقوش الآثار بالنسبة لهذه الحروب هو ظهور عنصر «الشردن Sherden» (= السردينيين) البحري حليفاً لليبيين في غاراتهم على مصر. وبعد حين نجد رمسيس الثاني[30] يستخدم الشردن كمرتزقة في جيشه ليصد بهم غارات

29- صور هذا الملك على مقبرته أجناس العالم الأربعة التي كان المصريون قد عرفوها. وكان شعب التمحو من بينها. وتدل هذه الرسوم على أن التمحو كانوا من البيض ذوي العيون الزرقاء أو السوداء والشعور الشقراء المزينة بجدائل صغيرة بعضها مرسل إلى الخلف والبعض الآخر على الجبهة. وكان الرجل منهم يرخي لحيته ويطلق شاربه ويضع رشتين في رأسه. أما ملابسهم فكانت عبارة عن عباءة فضفاضة من الجلد تغطي الكتف الأيمن وأعلى الذراع ثم تعقد على الكتف الأيسر عقدة عريضة وتترك الذراع الأيسر مكشوفاً. والعباءة مزخرفة بألوان مختلفة كما أن ذيلها محلى بشريط عريض مخطط – وتحت العباءة يظهر قراب العورة كما أن السيقان والأذرع تبدو محلاة بأشكال معينة من الوشم كثيراً ما تظهر بينها العلامة الخاصة بالإلهة الليبية نيت.

Breasred, James Henry, A History Of Egypt, 2nd edition, Hodder -30 and Stoughton, London 1959, Book VI, p. 424, «Sheden or Sardinians…

الليبيين وحلفائهم من الشردن الآخرين. وهو من أجل تحقيق هذه الغاية يبدأ بإقامة سلسلة من الحصون في الصحراء الغربية تمتد مسافة (341) كيلومتراً بين راقودة وزاوية الرخم. وكان أهمها حصن راقودة وحصن ماريا (جنوب بحيرة مريوط) والغربانيات والعلمين. ثم ينصرف لمواصلة حروبه في سوريا التي لم يكن من الممكن ان يختل ميزان القوى فيها دون إلحاق الاذى بمصر. ورغم النصر الذي أحرزه رمسيس الثاني على التحنو وحلفائهم من الشردن وسجله على لوحة «تانيس» إلا أنه كرر خطأ والده عندما أكتفى بصدهم وردعهم. وهم الذين كانوا خطراً على مصر في أيام والده حين كانوا وحدهم. فكيف بهم الآن في عهده بعد أن تحالفوا مع الشردن من شعوب البحر؟ إننا قد لا نخطئ إذا اعتبرنا حروب الليبيين مع رمسيس الثاني مقدمة للغزوات الكبرى التي تلتها وهي أكبر أحداث التاريخ الليبي في عهد الاسرتين التاسعة عشرة والعشرين. وتلك الغزوات حسب الترتيب الذي ظهرت به الآثار المصرية هي:

1- الغزوة التي وقعت في السنة الخامسة من حكم الملك مرنتباح (منفتاح) (Merneptah) سنة 1227 ق. م. وقد سجلت أخبارها أربعة مصادر أصلية هي: نقوش الكرنك الكبيرة. عمود القاهرة. لوح إسرائيل. وأنشودة النصر – وقد وصف العلامة برستد هذه الغزوة بأنها كانت «واحدة من اخطر الغزوات ... التي تعرضت لها مصر في تاريخها»[31]. وقد وقعت في أواخر مارس في السنة الخامسة من حكم مرنتباح وهو في الثالثة والستين من عمره. وتفيد نقوش الكرنك أن مصر قبل توليته «كان جزء من ارضها غير معتنى به. وقد ترك ليكون مرعى للماشية بسبب» أقوام الاقواس التسعة» (الليبيين). وقد تركت خراباً منذ زمن الاجداد. وكل ملوك الوجه البحري ظلوا وسط مدنهم محصورين في القصور الحكومية لقلة الجنود...». وقد تزايد التهديد الليبي من جديد وكان المغيرون من الليبيين يكتسحون الحقول المصرية استمرار حتى ضفاف النهر العظيم حيث كانوا

«.were taken into Ramses II>s army in considerable numbers

31- المرجع السابق ص 466 – 478.

يقضون أياماً بل أشــهراً يســرحون ويمرحون في الارضــي المصرية باحثين عن مقومات معيشــتهم. وفي هذه المرحلة الحرجة تحالفت القبائل الليبية ضد مصر وهــددت مدينــة هليوبوليس مما دعــا الفرعون الطاعن في الســن إلى التشمير عن ساعد الجد للوقوف في وجههم وحماية رعاياه من خطرهم.

وقــد بدأت هذا التحالف الليبي – البحري قبيلة الريبو بزعامة رئيســها مريــي بم دِد (Meryey son of Ded) فــي موطنهم إلى الغرب من التحنو المتاخمين لمصر. وانضمت إليهم قبائل «إكوش Ekwesh» و «ترش Teresh» و «لــوكا Luka» والشــردن «Sherden» والشــكلش «Shekelesh» و «شــماليون قادمون من جميع البلاد». وبهذه القوات المتحالفة هاجم الريبو التحنو وأجبروهم على الانضمام إليهم[32]. وكان التحالف قد أبرم في شــهر مارس. وبدأ الزحف شــرقاً في شــهر إبريل من الســنة نفسها. وأمر مرنبتاح في الثامن من إبريل «بتجهيز الحشــد العظيم فــي «مبر Meber»[33] حيث احتشــد خير رماته. وجيء بعرباته الحربية من كل مكان. فهو لم يكن يهتم بمئات الآلاف فــي أيام القتال. وســار مشــاته يتقدمهم المقاتلون بالســلاح الابيــض. وكان مظهرهم جميلاً وهم زاحفون. ومــن ورائهم رماة النبال. ضد كل البلدان». وكان الملك قد جمع رجال بلاطه. وكان جلالته «ثائراً كالأســد» وقــد خطــب فيهم قائــلاً « ... إنكــم تنزعجــون كالطيور ... هل ســتخرب البلاد ... وأقوام الاقواس التســعة قد أتوا إلــى أرض مصر ليبحثوا عن طعام لبطونهم...؟» وفي الخامس عشــر من ابريل – نيســان تواقف الجيشــان في مكان اســمه «بر – إر» (Perire). في الدلتا الغربية[34] الجيشان وجهاً لوجه بدأ المشــاة المصريون والعربــات المصرية الحربية بالهجــوم. وعندما أصبحت

32- كان التحنو غير ميالين للعنف نتيجة للردع الذي لقوه على أيدي الملكين رمسيس الثاني وسيتي الأول.

33- مكان معروف حتى الآن.

34- - اقتــرح احــد المؤرخين الالمان ان هذه المجابهة حصلت فــي مكان في جنوب الفيوم بينما اقتــرح بعــض المؤرخين الاخرين أنها كانت بجوار كفر الزيــات – وذكر الدكتور مصطفى كمال عبد العليم في كتابه دراسات في تاريخ ليبيا القديم أنها كانت في موقع (بر – إر) على حافة وادي النطرون إلى الشــمال الغربي قليلا من منف. ووجودد كلمة (RWD) في النص المصري يؤكــد وقوع المجابهة على حافة الدلتا الغربية لأن هذه الكلمة لا تســتعمل إلا في الحديث عن الدلتا. أما مكان المعركة بالضبط فلا يزال غير معروف.

مقدمــة جيش الحلفاء في مرمى الســهم أمطرهم الرمــاة المصريون طيلة ست ســاعات بوابل من سهامهم التي كانت تفوق في مداها وقوتها سهام الليبيين. ونتيجة لذلك دبت الفوضى بــين صفوف الليبيين وبدأوا يتراجعون. وحاول مريي عبثاً أن يعيد تنظيمهم. إذ لم يلبث تراجعهم أن تحول إلى هزيمة فراح الفرســان المصريون يطاردونهم بينما اســتمروا هم «يمعنون في الهرب تاركــين طلائعهم خلفهم. ولم تثبت أقدامهم بــل أمعنت في الهرب بينما ألقــى رماتهم قســيهم. وتعبت قلوب العدائين منهم لكثــرة العدو. فألقوا بقــرب الماء التــي كانوا يحملونها لشــربهم». واســتمرت القــوات المصرية تطاردهــم حتى «جبل قرون الأرض» أي الحافــة الجبلية المطلة على الدلتا من الغرب. وقتل من الحلفاء (6200) من الليبو و(2370) من رجال البحر. وأسر منهم جميعاً (9367) أســيراً. وكان بين القتلى ســتة مــن أبناء مريي وعدد من أقربائه وضباطه. بينما «ســبيت أمام ناظري الرئيس الليبي المهزوم اثنتا عشــرة امرأة من حريمه اللواتي كان قد اصطحبهن معه». واجتاح المصريون المعسكر الليبي وأشعلوا النيران في خيامه. كما استولوا على أمتعة الأمير مريــي الخاصة بما فيها فضته وذهبــه وأوانيه البرونزية وأثاث حريمه وعرشــه وقســيه وســهامه وكل ما كان قد أحضره معه من بلاده بالإضافة إلى ثيرانه وغنمــه وحميره. وكانت الغنائم التي اســتولى عليها المصريون ضخمة وقد أدرجت في قائمة على الوجه التالي:

الأدوات الحربية التي كانت بأيدي المغيرين

سيوف المشواش النحاسية	(1119)
أسلحة ليبية صغيرة	(412021)

الخيول التي حملت الأمير الليبي المهزوم

أطفال الأمير الليبي وقد أخذوا أحياءهم واثنتا عشرة من زوجاته

مواشٍ متنوعة	(8031) رؤوس

ماعز

أواني شرب من الفضة

أوان مختلفة (4713)

قسي (0002)

واستطاع مريي أن ينجو بنفسه من تلك الكارثة بأعجوبة، وكان وحيداً أو مع عدد قليل من أتباعه. ونجد على لوح إسرائيل هذه الكلمات في وصف هربه: «هرب الرئيس الليبي التعيس المهزوم وحيداً تحت جنح الظلام دون ريشة على رأسه. ... ولم يكن في قربته من الماء ما يكفي لإبقائه على قيد الحياة». وأثناء هربه مر بمركز مصري على الحدود يدعى «قلعة الغرب» وقد علم ضابط القلعة بهرب الرئيس الليبي وبإفلاته وبعث للبلاط المصري بتقرير عن الحادثة جاء فيه:

مريي المهزم مر من هنا،

وقد هربت أطرافه بسبب جبنه،

لقد اجتاز عني بسلام،

تحت جنح الظلام،

إنه مهزوم،

وكل الآلهة تقف مع مصر،

ولا يعرف ما إذا كان هذا الأمير قد مات،

أم ما إذا قد بقي على قيد الحياة،

لكنه إن عاش،

لن يتمكن من تولي القيادة من جديد؛

لأنه أصبح عدواً حتى لجنده أنفسهم،

فقد ولوا على أنفسهم أميراً غيره،

واحداً من إخوته،

وهذا الأمير الجديد سيحارب مريي حينما تقع عليه عيناه،

وقد اشمأز كل الرؤساء من مريي.

والاسطر الاخيرة من هذا التقرير تلقي ضوءاً على الاوضاع التي كانت تسود ليبيا بعد الهزيمة فها هو مريي كغيره من زعماء البربر القدماء يكتشف أن سلطته على قومه كانت تتوقف على نجاحه العسكري. أما وقد فشل فقد انقلب عليه رجاله في حنقهم على ما أصابهم من مصائب تحت زعامته، وأطاحوا به، ولم يبقوا على حياته الا احتراماً لامارة أسرته. وكان «العداء ظاهرا على ملامح إخوته الذين ارادوا أن يفتكوا به. كما أن قادته كانوا في صراع ضد بعضهم البعض ... وعندما وصل إلى بلاده كان كل واحد في البلاد ناقماً عليه، وكان هو يتعثر في خزيه ويسير مطأطئاً رأسه بعد أن أطار الحظ السيء الريشة التي كانت تزدان بها هامته. وكان أهل بلدته جميعاً يتحدثون ضده قائلين: «لقد وقع تحت أيدي الالهة، ملوك ممفيس، وقد لعن ملك مصر اسم مريي ولقبه (بغيض ممفيس). وهذه وصمة لاميرنا ستبقى في مصر تتناقلها الاجيال جيل عن جيل إلى الأبد».

وكان هذا الامير المنكود يسمع في كل مكان الثناء على عدوه الفرعون مرنبتاح الذي أصبح مضرب المثل في ليبيا حتى صار الشاب الليبي يقول للآخر: «لم يسبق لنا أن أصبنا بمثل ذلك منذ زمن رع». ويقول كل شيخ مسن لأبنه: «واحسرتاه لليبيا». أما رجال القبائل «فقد توقفوا عن الاستمتاع بالحياة والسير في الحقول، فقد شلت حركتهم تلك في يوم واحد، كما أن مستوطناتهم أضحت مهجورة وصاروا يقولون: «إن الاختفاء جميل وإن السلامة في الكهوف».

ومن الناحية الأخرى ساد مصر شعور بالارتياح، وحماس شديد، واعتراف بالجميل للفرعون مرنبتاح. وقد سجلت هذه الظاهرة على لوح إسرائيل كما يلي: «لم تعد تسمع في الليل صيحة: قف! انظروا هاهاو أحدهم قادم، إنه يتكلم لغة أجنبية! ... ولقد هدأت الأحوال في الحصون من جديد، أما ذلك الذي يزرع زرعه فإنه بالتأكيد سيكنيه وسيأكله». وجاء في أنشودة النصر التي كتبت بعد هزيمة مريي: «... لقد أشرق السرور العظيم على مصر، ولنبعث الفرح من بلدان مصر، وتحدث الناس عن الانتصارات التي احرزها

مرنبتاح على التحنو ... آه وإنه يجلس الانسان ليتحدث، والناس تغدو وتروح ثانية دون وجود أي عائق في الطريق، وليس هنالك أي خوف في قلوبهم ... وقد تركت المعاقل وشأنها وأصبحت الآبار مفتوحة، ومسالكها سهلة، ومعاقل الأسوار أصبحت هادئة، لا يوقظ حراسها إلا الشمس ... وليس هناك صياح بليل: «قف .. قف، بلغة الأجانب».

ويبدو أن مرنبتاح أتبع ننصره الحاسم بحملات آنية ضمنت له تحصيل الجزية من أعدائه، وقيل إنه «توغل في أراضي التحمو». وسواء قام مرنبتاح بغزوات إلى الأراضي الليبية أم لم يقم، فقد قنع المصريون بانتصارهم وتفوقهم ولم يقوموا بحملة كبرى على جيرانهم الليبيين تكفي لطرد الريبو بعيداً إلى الغرب بحيث تؤدي بهم إلى الضغط على جيرانهم من الغرب، وإن كانوا ربما قاموا بحملات صغيرة متفرقة – وعلى أي حال فقد كان انتصار مرنبتاح رادعاً لليبيين إلى حد أنه كان كافياً لإزاحة مصر من غزواتهم لأمد طويل لو أن مصر لم تغرق في فترة من الفوضى الداخلية في أعقاب وفاة مرنبتاح مما أدى إلى إضعاف الأمبراطورية، وانحطاط الروح العسكرية، وتشجيع الليبيين من جديد على محاولة دخول وادي النيل بقوة السلاح. ولكن لسوء حظهم جاءت محاولتهم هذه متأخرة إذ إن الفرعون «ستناخت Setnakht» النشيط كان قد أسس الأسرة العشرين وتلاه في تأسيسها وترسيخها في الحكم الفرعون القوي الطموح رمسيس الثالث الذي بعث الحياة في البلاد من جديد.

2- حروب رمسيس الثالث (1198 – 1166 ق. م.) الأولى ضد الليبيين:

لقد وجد الكثير من النقوش على الآثار المصرية فيما يتعلق بحروب رمسيس الثالث ضد الليبيين، ولكن ما احتوته من معلومات جاء مضطرباً إلى حد أن العلامة برستد لم يكن راضياً عن ترجمته هو نفسه للنقوش الموجودة على جدران المعبد الكبير لرمسيس الثالث وهو المعروف بمعبد مدينة هبو في طيبة الغربية مقابل مدينة الأقصر. وهذه النقوش هي المرجع الرئيسي لحروب رمسيس الثالث هذه.

والحرب الأولى منها وقعت بين الليبيين ورمسيس الثالث في السنة الخامسة من حجمه (1194 ق. م.) أي بعد انتصار مرنبتاح على الليبيين بثلث قرن. وكما حدث في حالة الحرب السابقة فإن الجولة الجديدة تقدمها تسلل أعداد من الليبيين إلى مصر حتى «صار الليبيون والمشواش يعيشون في مصر بعد أن نهبوا مدن الشاطئ الغربي». وهكذا فقد استؤنفت الهجرة الليبية عبر حدود الدلتا الغربية، وصارت عصابات من قطاع الطرق الليبيين تتجول بين المدن في المنطقة الواقعة ما بين ممفيس وشاطئ البحر الأبيض . وفي هذا الظرف المعقد المضطرب بينما كان «ستناخت» ومن بعده رمسيس الثالث يبذل كل ما في وسعه لاعادة النظام والحياة للبلاد، وبينما كانت الجاليات الليبية تتغلغل في الدلتا، وقعت في سوريا وآسيا أحداث خطيرة حفزت الليبيين في النهاية على تكرار محاولة أميرهم مريي التي حدثت قبل ثلث قرن من الزمن؛ وكانت تلك الاحداث عبارة عن اضطرابات في الشمال أدت إلى الزحف الكبير الذي قامت أقوام متعددة منهم إلى الجنوب تحت ضغط جيرانها في الشمال؛ وكان من بين تلك الاقوام: «الثكل Thekel» و(البليست Peleset) (= الفلسطينيون في الانجيل، وكانوا قد استقروا قبل ذلك في جزيرة كريت اليونانية) والدنين (Denyen) والوشش «Weshesh» والشكلش «Shekelesh» والشردن (Sherden). وبدأ الثكل والفلسطينيون يتحركون جنوباً وشرقاً كما أن عدداً من المغامرين منهم بدأوا يغيرون على شواطئ الدلتا. وكان من الطبيعي أن تلتقي مصالحهم مع مصالح الليبيين مما أذكى في نفوس الليبيين الحماس لتلك المطامح التي كان مرنبتاح قد أخمدها إلى حين.

وكان مريي بن دِد قد عزل وعين بدلاً منه أحد إخوته. وقد ورد فيما كتبه رمسيس الثالث، ثاني ملوك الأسرة العشرين، في بردية هاريس أنه نظم قوى مصر على شكل طوائف كان من جملتها «جنود كهك الذين لا يحصون» ثم يرد في هذا النص قوله: «... كان الليبيو والمشواش يسكنون مصر، وقد نهبوا مدن الشاطئ الأيمن من منف حتى كربن (Kerben)[35] ... وبلغوا

35- قرب قرية أبي قير.

ضفتي النهر العظيم ... تأمل، لقد أهلكتهم وأخضعت المشـــواش والليبيو والإسبت والكيكش والشاي والهس والبكن». وسجل هذا الملك، على جدران معبـده الكبير في طيبـة الغربية أخبار حربه هذه ضد الليبيين حيث قال: «لقد أتى أهل بـلاد التمحو مجتمعين معاً في مكان واحد، ومعهم الليبيو والسبد والمشواش. غير أن خططهم حطمت ... وقد طلبوا رئيساً بأفواههم، غيـر أن ذلـك لم يكن في قلوبهـم ... وأن الإله الواحد الممتـاز هو الذي عرف خطة صائبــة ... ليجعل أهل الممالك الأجنبية يطلبـون بقلوبهم من الملك العظيم أن ينصب رؤســاء لهم ... وكان جلالته قد ربى ولداً صغيراً من أرض تمحو وقد عضده بقوة ساعديه ونصبه رئيساً عليهم لينظم الأرض، وهذا ما لم يسمع به من قبل منذ بدأ الملوك».

نستنتج من النص السابق أن رمسيس الثالث تدخل في شؤون الليبيين وحـاول أن يفرض عليهــم ملكاً منهم ربـاه في مصر فرفـض الليبيون لأنه كان فــي نظرهم حاكماً مصريــاً وأدى هذا الموقف إلى نشــوب الحرب بينهم وبين رمســيس الثالث. وقد ورد في نصوص هذه الحرب المنقوشــة على معبد رمســيس الثالث المذكور أن هذا الفرعون تغلب على الرؤســاء الليبيين «دِد» و «مشــكن» «Meshken» و «مريــي» و «ويرمــر Wermer» و «ثيمـر Themer» وكل رئيـس معـادٍ «اجتاز الحدود المصرية مــن ليبيا». ومما يلفت النظر في ســجل هذه الحرب ظهور اسمي «دِد» و «مريي» وهما إما أن يكونا اسمي الرئيسين السابقين اللذين قادا الحرب ضد مرنبتاح وعادا الآن بعد ثلاث وثلاثين ســنة ليشــاركا في غزو مصر من مصر جديد. وإما أن يكونا اســمي شــخصين من نســل الغزاة الأولين، وإما أن يكون الكتاب قد اســتخرجوهما من سجل مرنبتاح وأدخلوهما في سجل حرب رمسيس الثالث الأولى تمجيداً لــه. وتبدو الفرضية الأولى مســتبعدة لأن مريي كان له ســتة أولاد كبار أيام حربــه مع مرنبتــاح فلو قدرنا أن عمره آنذاك كان أربعين ســنة وعمر والده دِد ســتين فإن من المستبعد أن نجدهما يعودان ليشاركا في الغزو وقد نيفا على الســبعين والتســعين – والفرضية الثانية لا يســتبعد وقوعها وإن كان من المشــكوك فيه أن نجد اثنين من الأســماء التي حاربت ضــد مرنبتاح يعودان

ليمثــلا في حرب جديدة – وتبقى الفرضية الثالثة وهي أكثر هذه الفرضيات الثلاث احتمالاً، ويؤيدها أن برســتد رتب هؤلاء الأمراء زمنياً على النحو التالي: -1 دِد، -2 مشكن، -3 مريي (المخلوع)، -4 ويرمر (معاصر لسيتي الثاني)، -5 ثيمر (قائد الحرب الثانية)[36].

وتبدأ وقائع هذه الحرب تتأكد تاريخياً من اللحظة التي اتحد فيها التمحو وتحالــف معه الثكل والبلســت[37] ضد مصر. وقد حدث هــذا عندما تجمعت قبائل الريبو (الليبيو) والمشــواش و «السبد Seped» وتحركت شرقاً لينضم إليهل «أقوام البحر» والليبيون الذين كانوا يقيمون في الدلتا من قبل. وعلى هذا الأســاس فإن عدد المحاربين المتحالفين لم يكن يقل كثيراً عن ثلاثين ألفاً. وبـدأت الحرب بالغزو فخرب الغــزاة ريف الدلتا ونهبــوا مدنها من كرين حتى ممفيــس في الجنــوب بادئين من ناحيــة البحر والطريق الســاحلي لكي يبقوا علــى اتصــال بأقربائهم وحلفائهم. ولــم يلق الغزاة في بــادئ الأمر مقاومة تذكر فبدأو يخلدون للســكينة والاســتقرار، واعتبر «ثيمر» نفســه مهمته منتهيــة. وفــي هذه الآونــة فوجيء الغــزاة بجيش رمســيس الثالث ينقض عليهــم كالصاعقة فهزمهم هزيمة ســاحقة وقتل منهــم ما يزيد عن اثني عشــر ألف أكثرهم من أبناء البحر، وأســر منهم حوالي ألف أســير. ويظهر الملك رمســيس الثالث على جدران مدينة هبو وهو يمتطي عربته الحربية ومن

36- القرابة المحققة بين هؤلاء الأمراء الليبيين هي تلك التي يمكن اســتخلاصها من ســجلات مرنبتاح كما يلي:

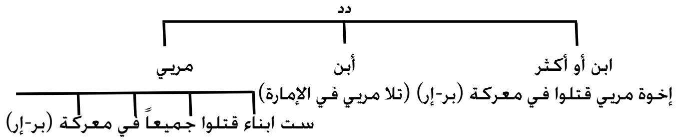

أما قرابة «مشكن» و «ويرمر» و «ثيمر» فهي غير معروفة.

37- انظــر أيضــاً: عبد العليم، مصطفى كمال، دراســات في تاريخ ليبيا القديم، منشــورات الجامعة الليبية، المطبعة الأهلية، بنغازي، يناير 1966، ص 29، حيث يذكر أن النقوش المصرية لم تورد انضمام الشكل والبلست إلى الليبيين في هذه الحرب. ونحن مع تقديرنا لهذه الإشارة لا نرى أن سكوت النقوش المصرية ينفي إمكانية قيام التحالف المشار إليه خاصة ونحن نعرف أن التحالف بين الليبيين وأقوام البحر صار ظاهرة مألوفة قبل هذه الحرب وبعدها.

وراثه نبالته وسيافته وهو يطارد رجال القبائل. أما الاسرى فقد وسموا باسم الملك وأرسلوا ليستخدموا في الجيش أو وزعوا رقيقاً بين المعابد. ولا يعرف ما حدث لثيمر ولكن عدداً من مشتشاريه كانوا بين الاسرى الذين مثلوا أمام الملك، الذي حق له أن يفتخر بقوله: «لقد فللت هؤلاء الذين غزوا حدود بلادي وتركتهم منثورين في أماكنهم فوق أرض المعركة ... لقد أخضعت بلاد التمحو ... والمشواش، وتركتهم جميعاً يلتصقون بالأرض خشية مني».

أما بقية الغزاة فقد رضوا من الغنيمة بالإياب. ورضوا أن يستقروا في بلادهم ويخلدوا للهدوء والراحة، ولكن تلك الأسباب لم تهيأ لهم لسوء حظهم.

3- حرب رمسيس الثالث الثانية:

إننا نذكر أن الريبو، قبيل حربهم مع مرنبتاح، أرغموا جيرانهم التحنو على مشاركتهم في غزوهم لمصر، وها نحن نجد حادثة مشابهة لهذه تقع بعد انتصار رمسيس الثالث بست سنوات، إذ إن المشواش، المجاورين للريبو من الغرب، والذين يبدو أنهم قاموا بدور كبير في الحروب الليبية المصرية قبل عهد الأسرة العشرين وظهروا بأعداد كبيرة محالفة للريبو في الحرب الأولى ضد رمسيس الثالث، لم يرضوا بنتائج الحرب وصاروا يحتقرون الريبو المجاورين لهم في الشرق بل إنهم ذهبوا إلى أبعد من ذلك فاستغلوا حالة الضعف التي أصابت قبائل الريبو والتحنو بعد هزيمتها على يدي رمسيس الثالث فانقضوا على هؤلاء بقيادة زعيمهم كبر «Kepper» وابنه مِشِشر «Meshesher» وغلبوهم وأخضعوهم لحكمهم. ولم يقنع المشواش بهذا النصر بل اغتروا به وبما سمعوه من قصص عن غنى مصر، وخيراتها من التحنو والريبو المغلوبين فأغراهم ذلك على القيام بحملة على مصر. وواضح أن تشجيع الريبو والتحنو للمشواش على غزو مصر كان يهدف إما إلى أخذ الثأر من مصر وإما إلى التخلص من المشواش بضربهم في المصريين. على أي حال استجاب المشواش للإغراء وكونوا حلفاً كالمعتاد كان من بين القبائل الداخلة فيه قبيلة اسبت «Esbet» وقبيلة شاي «Shai» وقبيلة بكن «Beken» وقبيلة كيكش «Keykesh» وقبيلة هس «Hes». وربما

كان الحلفاء في هذه المرة قد توصلوا إلى نوع من التفاهم مع العموريين في سوريا، لأن هذه الغزوة الليبية والحرب العمورية ضد رمسيس الثالث وقعتا في السنة الحادية عشرة من حكمه (1187 ق. م.) وتظهر على جدران معبد هبو نقوش تبين هذا الفرعون وهو يقود ملك العموريين والرئيس الليبي معاً أمام الاله آمون. ومثل هذا التفاهم بين الليبيين والعموريين كان من الممكن أن يتم بسهولة بواسطة الثكل الذين كانوا حلفاء لليبيين في حرب السنة الخامسة من حكم رمسيس الثالث، كما أنهم في هذه الحرب الثانية وقفوا إلى جانب العموريين في سوريا دفاعاً منهم عن قراهم ومدنهم هناك من مثل مدينة دور «Dor».

وفي وقت متأخر من السنة الحادية عشرة من حكم رمسيس الثالث زحف حلف القبائل الليبية على مصر وقد عقدوا النية على احتلالها وكانوا على حد تعبير النقوش الأثرية يقولون: «إننا سنقيم في مصر، كانوا جميعاً يقولون، ثم أخذوا يعبرون الحدود المصرية فوجاً إثر فوج». وربما كان عبور الحدود على هذا النحو لاغراض الاستطلاع وجس نبض العدو وتلمس مدى قوته واستعداده. ويبدو أن القسم الرئيسي من القوات المتحالفة لم يصطدم بأية مقاومة حقيقية حتى وصل إلى معقل «هاتشو Hatsho» (في الدلتا على بعد أحد عشر ميلاً من حافة الصحراء الغربية) وبدأوا بحصاره. وهنا، كما تدل آثار مدينة هبو، انقض عليهم رمسيس الثالث بنبالته وعرباته الحربية. وكان النبالة يسيرون في المقدمة ومن ورائهم كتائب المشاة التي كانت تنتظر حتى يفرق النبالة صفوف الأعداء، وبدأ الهجوم فوجد المشواش وحلفاؤهم أنهم كأسلافهم عاجزون عن الصمود في وجه المصريين الذين راحوا يضيقون عليهم الخناق في نفس الوقت الذي كانت فيه النيران تنصب عليهم من الحصن الذي دارت رحى هذه المعركة تحت أسواره. فاختلت صفوفهم ولاذوا بالفرار غرباً باتجاه حافة الصحراء.

أما كبر، منكود الحظ، فقد وقع أسيراً وسلم نفسه وسلاحه وجنده. وكان يستغيث بالسماء من أجل ابنه مششر – ولكن استغاثة كبر لم تستجب فقد قتل ابنه في المعركة وقتلت معه زوجة أبيه وأسرته. وبلغ

عـدد القتلى من الحلفاء في هـذه المعركة (2175) قتيلاً كما بلغ عدد أسـراهم (2025) أسـيراً. وقد نقشـت على جدران معبد رمسيس الثالث في مدينة هبو التفاصيل التالية عن هذه الحرب:

الأسرى الذين ساقهم سيف الفرعون القوي من بين المشواش المغلوبين:

رؤساء المشواش	**1 (رجل)**	
رؤساء من الأعداء	**5 (رجال) [هل كان هؤلاء زعماء القبائل الخمس المتحالفة؟]**	
مشواش	**5021**	**(رجال)**
شباب	251	
أولاد	131	
المجموع	4941	
زوجاتهم	243	(امرأة)
شابات	56	
فتيات	151	
المجموع	855	

مجمـوع ما أخذه سـيف الفرعون القوي من الأسـرى الأحيـاء (2025) شخصاً.

أما الغنائم التي تم الاستيلاء عليها فكانت كما يلي:

ماشية وثيران	911
سيوف بطول خمسة سواعد	511
سيوف بطول ثلاثة سواعد	421
أقواس	306
عربات حربية	39
جعب سهام	00132
رماح	29

خيل وحمير المشواش	381

وكان مصير هؤلاء الأسـرى أن وسموا باسـم الملك وأرسلوا ليستخدموا في الجيش بينما أرسل ألف منهم للعناية بقطعان أحد المعابد.

وهكـذا انتهت آخر غـزوة ليبية كبرى لمصر وكان الانتصار الحاسـم الذي حققه رمسـيس الثالث كافياً لبث الذعـر في قلوب الليبيين من حدود مصر حتى «المنحنى العظيم» (= بداية خليج سـرت). وتيقـن الليبيون أنهم لا يستطيعون الوقوف أمام المصريين في الحرب.

ولكـن بالرغم من كل ما جرى اسـتمر الليبيون في التسـلل إلى الدلتا بأعـداد صغيرة واسـتقروا فيها على صـورة جاليات. وتمكنوا فـي النهاية أن يحققوا سـلماً ما فشـلوا في تحقيقه حرباً – ألا وهو ارتقاء العرش المصري. وقبل الاسترسـال فـي الحديث عن هذا الموضوع، يجدر بنـا أن نتوقف هنيهة لنتسـاءل عن سـبب هذا الزحف الليبي المتواصل باتجاه الشرق، ذلك الزحف الذي لم تكن الحروب التي استعرضناها سوى تعبير عنيف عنه.

إن ضغـط القبائـل الأوروبيـة[38] المندفعة من أواسـط أوروبا نحو آسـيا الصغـرى وبلـدان أوروبا الجنوبية حمل سـكان هذه البلـدان، الذين كانوا قد خرجـوا من عصر البرونز إلى عصر الحديد، في القرن الثالث عشـر قبل الميلاد على الاتجاه جنوباً مستفدين من سفنهم للاحتماء بها في عرض البحر الذي كانت القبائل المغيرة من أواسط أوروبا تجهل ركوبه. ثم ضغطوا بدورهم على سـكان جزر البحر الأبيض المتوسـط وبلدان شاطئه الشمالي فتحرك هؤلاء في جموع كبيرة على شكل موجات من المهاجرين إلى أقرب الأماكن المناسبة للسـكن والمعيشة، والقليلة المقاومة في الشمال الإفريقي الذي كان لا يزال فـي أواخر العصر الحجري الحديث. وتركزت هذه الهجرات على المغرب، المواجه لإسبانيا، وتونس، المواجهة لصقلية وإيطاليا، ومصر التي استطاعت أن تصد الغزاة عن أرضها. لهذا أصبح سكان الشمال الإفريقي الأصليين واقعين تحت ضغـط المهاجرين الذين حلوا بالمغـرب وتونس وكان لهـم أن يتحركوا فكان

38- انظر ص 103.

الشرق أسهل جهة يتحركون إليها نظرا لطبيعة الساحل الليبي من ناحية، ونظراً لصعوبة الهجرة غرباً في وجه قبائل البحر وجبال أطلس، وصعوبة الهجرة إلى الجنوب الليبي الصحراوي في الداخل، ونظراً لأن هذه المناطق في الغرب والجنوب لا تتوافر فيها الخيرات الموجودة في مصر، من الناحية الأخرى. وعلى هذا الأساس وقعت الغزوات والحروب الآنفة الذكر بين المصريين والليبيين الذين رأيناهم يصطحبون معهم نساءهم وأطفالهم ومواشيهم مما يشير إلى أنهم لم يكونوا مجرد غزاة وإنما مهاجرين موجة تلو الأخرى استجابة للضغط الواقع عليهم من موجات هجرات أقوام البحر التي كانت تستقر إلى الغرب منهم ثم لا تلبث أن تزحف عليهم. ولكن المصريين الذين تمكنوا من صد تلك الموجات الليبية والقضاء عليها لم يستطيعوا ان يقضوا على الدوافع التي سببتها، ولذلك فنحن نرى في عهود من خلفوا رمسيس الثالث مباشرة استمرار التسلل الليبي إلى الدلتا خاصة في عهد «الأسرة الحادية والعشرين الضعيفة الخزية». وهكذا فنحن نجد الغزو الليبي المسلح يتوقف بعد معركة «هاتشو» ليبدأ بدلاً منه الزحف الليبي السلمي منذ حوالي سنة ألف قبل الميلاد. ولعلنا نتمكن من إلقاء شيء من الضوء على أحداث هذه الفترة بالنسبة للمهاجرين الليبيين بدراسة تاريخ أسرة «بويوواوا» «Buyuwawa» الليبية التي ظهرت في وقت متأخر من عهد الدولة الحديثة بمصر، والتي تعتبر مثالاً جيداً لسلوك الأسر الليبية المتسللة لمصر. ففي أوائل عهد الأسرة الحادية والعشرين استقر أحد أفراد التحنو الليبيين المسمى بهذا الاسم في مدينة «هراكليوبولس» «Heracleoplis» في مقاطعة أهناسية، وصار ابنه موسن «Musen» كاهناً لمعبد الإلهة «حري شف» القائم في هذه المدينة ورئيساً لقواتها من المرتزقة. وشغل خلفاؤه هذين المنصبين من بعده مما أدى إلى ازدياد نفوذ أسرته، وتزايد تمصرها بتزايد نفوذها وتقدمها. وفي أيام شيشنق، الحفيد الثالث لبويوواوا «ورئيس المشواش العظيم» توفي له ابن اسمه «نمرود» فدفنه في أبيدوس. وعندما وقع اعتداء على قبره، تقدم شيشنق بشكوى للملك «بتانيس» من الأسرة الحادية والعشرين فعطف هذا على قضيته، وقدم الرجلان معاً إلى معبد

الإله آمون في طيبة ليستمعا إلى حكم الإله في هذه القضية. ولم يلبث موحي الإله أن حكم بإدانة المعتدين، وبعث لشيشنق على سبيل الترضية تمثالاً على صورة ابنه ليوضع في معبد أبيدوس كما أنه ثبت ملكية شيشنق لمساحة واسعة من الأراضي الخصبة في هراكليوبولس مما مكن حفيده المسمى باسمه أن يصبح ثرياً وأن يعيش في مستوى الأمراء. وعندما بلغت الأسرة الحادية والعشرون أقصى درجات الضعف، ولم يعد بوسعها أن تبقى قائمة على رأس الحكم انتقل شيشنق الحفيد من هراكليوبولس إلى مدينة «بوباستس Bubastis» وانتظر هناك حتى توفي آخر ملوك الأسرة الحادية والعشرون فأعلن نفسه فرعوناً على مصر سنة 945 ق. م. وأسس الأسرة الثانية والعشرين.

وهكذا وبعد انقضاء ما يزيد قليلا عن قرنين من الزمن على وفاة خصم الليبيين اللدود، رمسيس الثالث، كان الليبيون الأشداء قد أضافوا إلى صلابتهم وبأسهم الثقافة المصرية التي تثقفوا بها ما سهل عليهم اعتلاء عرش مصر دون مقاومة في وقت كانت مصر فيه لا تزال أقوى دولة على حوض البحر الأبيض المتوسط الشرقي. وفيما يلي شجرة أسرة بويوواوا حتى رقي شيشنق الثاني عرش مصر:

1- بويوواوا Buyuwawa

2- موسن Musen

3- نبنيشي Nebneshi

4- بيثوت Pethut

5- شيشنق Sheshonk (Mehetnushet)

6- نملوت (= نمرود) Namlot (Temsepheh)

7- الملك شيشنق الأول Sheshonk I (Kerome)

8- الملك أوسركون الأول Osorkon I

ابن شيشنق الأول وخليفته

وتاريخ هذه الأسرة التي أسسها شيشنق الأول[39] والأسرة الثالثة والعشرين التي تلتها وكانت من أصل ليبي كذلك يتعلق بالتاريخ المصري أكثر من تعلقه بالتاريخ الليبي. ولذلك فنحن نمسك عن الخوض فيه عند هذا الحد مكتفين بالإشارة إلى أن شيشنق الأول هو الذي غزا فلسكين وهزم الإسرائيليين ونهب أورشليم (القدس)، عاصمة مملكة يهوذا. وكان من جملة ما نهبه منها تروس الملك سليمان المصنوع من الذهب. ولم تكن أسرة شيشنق هي الأسرة الوحيدة التي تسللت إلى مصر واستقرت فيها على النحو الذي ذكرنا؛ فهنالك ما يثبت أن أسراً ليبية كثيرة كانت تأتي إلى الدلتا وتستقر فيها حتى مرحلة متأخرة من تاريخ مصر القديم. وهذه الأسر، وإن كانت لم تبلغ شأو أسرة شيشنق الأول، إلا أنه كان يظهر منها رؤساء أو أمراء صغار يحملون لقب «ما» (مختصر مشواش) ويتمتعون بسلطة أشبه بسلطة الرؤساء الإقطاعيين وينظرون للرجل الليبي الذي يتربع على عرش مصر نظرتهم لرئيس كبير منهم في الوقت الذي كان فيه المصريون ينظرون إليه نظرتهم المعتادة للفرعون. ومعنى هذا أن هؤلاء الرؤساء احتفظوا بشيء من الاستقلال تجاه التاج وتقاسموا فيما بينهم حكم الدلتا والجزء الشمالي من مصر الوسطى. واستفلحت سلطتهم على حساب السلطة المركزية مما أسهم في إضعاف الأخيرة ودفع إلى براثن الفوضى ومهد الطريق أمام بغنخي (Piankhi) النوبي الذي قضى على سلطة هؤلاء الرؤساء وأطاح بالأسرة الثالثة والعشرين وأسس على أنقاضها أسرة جديدة.

وعند هذا الحد من تاريخ العلاقات الليبية – المصرية القديمة تصمت المصادر المصرية عن الحديث عن الليبيين حتى لا نستطيع أن نسمع عنهم أية معلومات ذات قيمة تمكننا من متابعة رسم هيكل وتفاصيل الصورة التاريخية التي أبرزناها على النحو السابق. وأمام هذا الموقف لا يسعنا إلا أن نفترض أن القبائل الليبية في منطقة برقة أخذت تستقر في مواطن إقامتها لسببين رئيسيين هما:

39- Breasted, James Henry, A History of Egypt, 2nd edition, Hodder & Stoughton, London, 1059, Book VII, pp. 526 – 536.

1- انكسار شوكة هذه القبائل نتيجة للحروب الطويلة بينهما وبين القوات المصرية مما أدى إلى اقتناعها بالتوقف عن مهاجمة مصر وبالقناعة بالاستقرار في الأرض التي كانت تسكنها.

2- تضاؤل ضغط شعوب البحر على سكان الساحل الليبي إلى حد أصبح يسمح بإسقاطه من الحساب كعامل فعال في حركة دفع الليبيين نحو مصر.

ولكن هذا يجب إلا يعني بأي حالٍ من الأحوال، أن الليبيين كأفراد وأسر قد توقفوا تماماً عن التسلل إلى مصر، بل بالعكس فإن عملية التسلل الفردي هذه استمرت، ولكن على نطاق ضيق، فنحن نلمح ظهور أُسر ليبية في مصر وخاصة في الدلتا؛ ومن أمثلة هذه الأسر، الأسرة التي ظهر منها في ووقت لاحق «إنارس Inarus» زعيم الثورة الفاشلة ضد «آرتكزركسيس الأول الفارسي Artaxerxes I» خلال حكم الفرس لمصر.

ويستمر هذا الغموض في تاريخ ليبيي منطقة برقة حتى قدوم الإغريق واستيطانهم ساحلها في أواخر القرن السابع قبل الميلاد. وآنذاك تبدأ مرحلة جديدة في تاريخ هذه المنطقة هي موضوع فصل آخر من هذا الكتاب.

وفي ختام هذا الفصل، نلتفت إلى القبائل الليبية القديمة التي استوطنت منطقة برقة وحاولت الاستيلاء على مصر كما أسلفنا، وكان احتكاكها بالمصريين سبباً في تسجيل شيء من تاريخها على الآثار المصرية، التي لها الفضل في تزويدنا بمعلومات قيمة عن تلك القبائل. والقبائل التي عرفها المصريون وسجلوا أخبارها على آثارهم هي:

1- التحنو (Tehenu): وكانوا يشغلون القسم الساحلي الشرقي من ليبيا إلى الغرب من مصر مباشرة، بل إنهم كانوا يقتربون كثيراً من الدلتا المصرية كذلك. وكانت قبائلهم تنحصر بين المصريين في الشرق والريبو في الغرب.

2- التمحو (Temehu): وكانوا يشغلون الواحة الخارجة وينتشرون على موازاة النيل جنوباً حتى النوبة. ويعتقد أن جماعة منهم أقامت في

النوبة واتخذتها وطناً لها.

3- اليبو (Rebu) أو الليبو (Lebu): ويظهر اسمهم على الآثار المصرية في مرحلة متأخرة عن المرحلة التي عرف فيها المصريون القبيلتين السابقتين؛ ومعنى ذلك أنهم كانوا يشغلون المنطقة الواقعة إلى الغرب منهما حول جبل العقبة وفي برقة.

4- المشواش (Meshwesh): وكانوا يقطنون المنطقة الواقعة إلى الغرب من الريبو. وتدل أسلحتهم وارتباطاتهم بأقوام البحر على أنهم كانوا يتبعون الطريق الساحلي في زحفهم من الغرب إلى الشرق نحو مصر. وهذه القبيلة هي آخر قبيلة ليبية مهمة يرد ذكرها على الآثار المصرية.

5- الإسبت (Esbet): وهي قبيلة صغيرة ذكر اسمها مرة واحدة على الآثار المصرية.

6- هس (Hes): وهذه أيضاً قبيلة صغيرة ذكر اسمها مرة واحدة على الآثار المصرية، وربما كانت الأرومة التي انحدرت منها فيما بعد القبيلة البربرية التي عرفها المسلمون باسم «هسه»

7- قبيلة بِكن (Beken): وقد ورد اسمها مرة واحدة على الآثار المصرية، وربما كان أبناء هذه القبيلة هم أسلاف قبيلة البكالة (Bacaies) التي ظهرت في وقت لاحق في المكان الذي وضعت فيه قبيلة بِكن على الخريطة.